قصائد شعرية إسبانية مترجمة

أ.م.د رضا هادي عبيس ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية، قسم التاريخ

قصائد شعرية إسبانية مترجمة[1]

الشعر وثيقة تاريخية[2]

لقد اهتم العرب بالشعر اهتماماً كبيراً إذ مجّده الرسول الأعظم (ص) بقوله "إن من الشعر لحكمة" وكانت العرب لا تعرف أنسابها وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها فهو ديوان العرب ولقد صار الشعر أساساً في توثيق الأحداث التاريخية وحفظها وعدم نسيانها لأنه يثير في السامع أو القارئ لذة المتابعة والمعايشة لتلك الأحداث، وبذلك برز الاعتماد عليه عند المدونين الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين الذين بدأوا بتدوين مختلف العلوم التي شعروا بضرورة تدوينها كالتفسير والحديث النبوي، والمغازي والسير والأخبار لأنه مورد من الموارد التي تساعد المؤرخ في الوقوف على تاريخ العرب والاطلاع على أحوالها.

والملاحظ أن الأدب وثيق الصلة بالتاريخ، فهو مرآة العصر وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه فهو يعكس بصورة جلية الأحداث التاريخية التي يتزامن معها عادة،

---

[1] راجع عن شروط المترجم وأسلوب الترجمة، رضا هادي عباس، اللقاء الحضاري في الأندلس، بغداد 2009، ص41-44.

[2] عدنان خلف سرهيد الدراجي، أثر الشعر في توثيق الأحداث التاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الآداب، جامعة بغداد، 2005، ص18-20؛ ملحمة السَّيد، دراسة مقارنة، درسها وقدم لها وترجمها د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة 1979، ص7-34، ص56-57.

ويصورها تصويراً دقيقاً وكما يرى غارثيا غومث "لعل بضعة أبيات من الشعر أدل على روح قوم من صفحات طوال من التاريخ"[1].

وتختلف رؤية كل من المؤرخ والشاعر للحدث التاريخي فالمؤرخ ينظر إلى الحدث بعقله، ويحاول أن يحلل الأسباب، ويضبط التأثير، ثم يقيِّم النتائج، وهو في ذلك كله ينظر في السمات العامة والخطوط الكبرى للأحداث ليخرج منها في النهاية بنظرة كلية شاملة، أما الشاعر فهو ينظر إلى الحدث بعقله ووجدانه ويغوص في جزئياته فيومي إلى أبعاده النفسية والاجتماعية وهو بذلك قد يكمل عمل المؤرخ فيرشده إلى أشياء جديدة لا يجدها في الوثائق، ولا يمكن أن يجدها فيها لأن تلك الأشياء تعبير عن وجدان الشعوب، ولا يمكن إلا للغة الوجدان أن تنقلها وتحفظ ما في طياتها من شحنات عاطفية.

وقد "بقي الشعراء يحملون راية التعبير عن مطامح الناس الذين وهبوهم الاحترام، وتركوا لهم مجال الانطلاق في تحديد المواقف الصائبة التي جمعت عليها الأمة وآمنت بها أهدافاً وقد دلت الأحداث على أن الشعر وثيقة من الوثائق المعتمدة في التدليل على سلامة الأحداث. ولم تكن عادة الاستشهاد به حالة طارئة انفردت بها كتب معينة أو عُرف بها مؤلف أو اقتصرت على فن أدبي وحده والتي كانت الكتب على اختلاف أنواعها وموضوعاتها ومتونها تضم شعراً كثيراً، وتستشهد بأبيات لعصور مختلفة ولذلك فهو يرفده بمادة تشارك في توثيق أخباره"[2] وخير من يمثل هذه الصلة العميقة بين الشعر والتاريخ هو قول الباحث الغربي نف ايمري حين قال "لا يزال التاريخ لي شعراً إلى حد كبير"[3].

الشعر ديوان العرب في الأندلس

---

[1] اميليو غارثيا غومث، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة العربية، القاهرة 1969، ص122.

[2] نوري حمودي القيسي، الشعر والتاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد 1980، ص17.

[3] المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، مؤسسة فرانكلين، القاهرة 1961، ص218.

مع دخول العرب الفاتحين الأندلس عرفت البلاد نوعاً من الثقافة كانت مصاحبة للفاتحين الجُدد ولم يكن دخولهم بالجند بل وصل إليها عدد من الصحابة والتابعين مستصحبين معهم بذور الثقافة الأولى التي شع فيها نور الأندلس الفكري والعلمي.

وكان الباعث لهم لقول الشعر الذي يعّبر عن هذه الحياة الجديدة هو تأثير الفتوح وما عكسته على أشعارهم، والوجود العربي على هذه الأرض الغنية بجمالها وطبيعتها الخلابة وبُعدهم عن وطنهم وعن أهلهم وعلى الرغم من تلك البواعث فقد كان ما وصل إلينا من الشعر في تلك المرحلة (الفتح وعهد الولاة) شيئاً قليلاً ولا يكفي لتكوين صورة عن الأندلس في تلك المرحلة. والشعر الذي وصل إلينا بالرغم من قلته ليس له من الأندلسية إلا أنه قيل في الأندلس وقائلوه في الحقيقة مشارقة وفدوا على الأندلس فيمن وفد مع الفتح وبعده ثم هو بعد ذلك شعر مماثل لذلك الشعر المحافظ الذي كان شائعاً في المشرق في ذلك الحين... ولا ينعكس عليه من الأندلس أي اثر.

أما في عهد الأمويين في الأندلس (الإمارة والخلافة) فقد بدأ مع نشأة الإمارة الأموية في الأندلس وضع اللبنات الأولى لشخصية الأندلسي الشعرية إذ لوحظ رسم بعض الخطوات نحو ثقافة أندلسية ولكن بذور أدب جديد ظهرت آثارها في التربة الأندلسية بأيدي أدباء أندلسيين فظهر الشعر الغزلي والوصفي والخمري وغير هذه الأغراض المتميزة ونمت المواهب وارتفعت منزلة الأدب والأدباء والشعر والشعراء ومن ثم في عهد الخلافة فقد شهدت قفزة ونهضة أدبية كبيرة، فضلاً عن كثرة النتاج الأدبي المتميز وبذلك احتلت مكانة مرموقة في المغرب والمشرق.

أما في عهد ملوك الطوائف فقد كان الشعر يتذبذب بين المد والجزر والتفتح والذبول تبعاً للظروف التي كان يمر بها المجتمع الأندلسي، إذ فقدت الأندلس مركزية العاصمة الواحدة، وظهرت إلى الوجود عدة عواصم أخرى حاولت تقليد العاصمة قرطبة والتنافس فيما بينها وبرزت اشبيلية من تلك العواصم ولمع فيها عدد من الشعراء ومنهم المعتمد وابن زيدون وغيرهم.

ثم جاء المرابطون الذين حكموا الأندلس والمغرب وحدة سياسية متكاملة ألغيت فيها الفروق السياسية، إلا أن الحركة الأدبية في بداية الأمر قد تعثرت ثم نهض الشعر وأصبح له مكانة متميزة في الأندلس وظهرت مجموعة من الشعراء.

وعند مجيء الموحدين كان اهتمامهم بالحركة الأدبية كبيراً، وعرف زعماؤهم باهتمامهم به بما يكفل له النماء والعطاء وأدى إلى ازدهار نهضة الشعر في هذه المرحلة وظهور الكثير من الشعراء من بين الفقهاء واللغويين والنحاة والأطباء والرياضيين وحتى بين العامة، وظهور دور بارز للمرأة الأندلسية.

وبعد أن تم تأسيس مملكة غرناطة سنة 635هـ/1238م، لجأ إليها الكثير من المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء والرجال البارزين في مختلف شؤون الحياة بعد سقوط مدنهم بيد الأسبان، مما شكَّل زخماً جديداً للثقافة الأندلسية في غرناطة ودفع عجلة الرقي الحضاري والثقافي في خطوة سريعة إلى الأمام، ونال الشعر بالخصوص اهتماماً كبيراً من القادة والأمراء والوزراء وكذلك من سلاطين غرناطة أنفسهم، فكان مجلس السلطان يغص بالشعراء الذين يحضرون لإنشاد قصائدهم وتعهدهم بالشعر واهتمامهم به يعود إلى إيمانهم بما للشعر من مقدرة فائقة على معالجة ما يدور بالمجتمع من أحداث، وكان من نتائج هذا الاهتمام أن ظهرت مجموعة كبيرة من الشعراء في غرناطة استطاعت أن تكتب تاريخها بشعرها الخالد، الذي وثَّق عن أحداثها التي مرت بها على طول تاريخها، فكانوا مشروعاً لخدمة هذه البلاد وعالجوا فيه قضايا أمتهم وما تمر به من ظروف صعبة وقد غلب عليه طابع الاستغاثة واستنهاض همم أولي الأمر في بلاد المغرب والمسلمين الآخرين لنجدة ما تبقى من ملك العرب في الأندلس[1].

كان مسلمو الأندلس عند استقرارهم انتشرت لغتهم وساد دينهم وأخذ السكان يتكلمون في حياتهم اليومية لغة هي خليط من العربية والرومانثية، ولقد ابتدع الزجل

[1] انظر الدراجي، المصدر السابق، ص36-37، ص67.

في قرطبة في آخر القرن التاسع الميلادي وأول العاشر ليواجه هذه الظاهرة، ويرضى النهم الجمالي عند المحدثين بها، ممن لا يفهمون العربية الفصحى، ولا الرومانثية الخالصة، ولا اللاتينية المتحجرة، وإذا كان ديوان ابن قُزمان أحسن مثل لهذه الظاهرة في اللغة العربية، حيث تتناثر الكلمات الرومانثية بكثرة وسط الكلمات العربية، فثمة أشعار رومانثية أيضاً، لشعراء جوالين مسيحيين، جاءت على هذا النحو حيث تتناثر الكلمات العربية بكثرة وسط الكلمات الرومانثية، وكانت مفهومة لأي أندلسي، حتى ولو كان مسيحياً شمالياً لا يقيم بين المسلمين.

ونجد في المصادر الأندلسية المسيحية معلومات لا بأس بها عن شعراء جوالين مسلمين، كانوا يقيمون في الجانب الإسلامي أصلاً، ثم يرحلون إلى الممالك المسيحية ليعيشوا أو من المسلمين الذين بقوا في الممالك المسيحية بعد أن أنحسر عنها مدَّ الإسلام[1].

كانت آخر صورة ظهر فيها أدب الأندلسيين المسلمين هي آثارهم التي كتبوها باللغة الإسبانية مستعملين في كتابتها الحروف العربية (التي تسمى في المصطلح الخميادة Aljamiada)[2] وهو أمر يدل على حالة الرعب التي كان المورسكيون[3]– أصحاب هذه الكتابات– يعيشون خلالها بعد غرناطة في يد الأسبان، وخاصة عندما وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التنصر ويتعقبهم ديوان التحقيق (محاكم التفتيش). وقد انقطعت يكاد يكون تاماً الأسباب بين معارفهم الضئيلة عن علوم الإسلام وبما كان

---

[1] مكي، المصدر السابق، ص56-57.

[2] مصطلح Los Aljamiados يرد هذا المصطلح في التاريخ الإسباني ويطلق على أولئك الذين يتكلمون العجمية La Aljamia وهي التسمية التي أطلقها الأندلسيون على اللغة القشتالية (الإسبانية)، ثم أطلقوا على من يتكلمها صفة " الخميادو" المستعجم، ويطلق عادة على أولئك المسلمين الذين ظلوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة 897 هـ/1492م وتكلموا الإسبانية ولكنهم استمروا في كتابتها بحروف عربية.

[3] المورسكيون، Los Moriscos مصطلح يرد في التاريخ الإسباني ويطلق على جميع من بقي في الأندلس بعد سقوط غرناطة في ايدي الملكين فرناندو وايزابيلا في 1492/1/2 وهو صفة من لفظ Moro الذي يطلق في بعض النصوص الإسبانية على عرب إسبانيا أو مسلميها، أو مسلمي الأندلس والمغرب، أو على المسلمين عامة.

لأجدادهم من الأمجاد والتقاليد العلمية الرفيعة، ولكنهم لم يتخلوا قط عن أحرف الهجاء العربية، واستمروا يكتبون بها ما لديهم من المعارف للحفاظ على عقيدتهم من ناحية ولتعمية مُتعقبهم من فحوى ما يكتبون من ناحية أخرى.

ومن الطبيعي أن نجد موضوعات هذه الكتابات المستعجمة (الخميادة) وروحها إسلامية خالصة، ولم يتوصل إلى الكشف عن سرها وحل رموزها إلا في القرن التاسع عشر وأكثر هذه الكتب تضمها خزائن المورسكيين ذات موضوعات دينية أو أدبية أو خرافية أو تشريعية. وعندما أخذ الأسبان ينفذون سياسة طرد بقايا المسلمين من البلاد عمد أصحابها إلى إخفائها وسترها عن العيون، ثم أخذت تظهر بعد ذلك رويداً رويداً، ولا زلنا نعثر على أطراف منها إلى الآن[1].

ولن نقف طويلاً عند كتب الموريسكيين التي تدور حول موضوعات الدين والقراءات والعبادات والمواعظ وصيغ الطلاسم وما إليها، إذ إن قيمتها الأدبية ضئيلة، وهذا لا يمنع من القول بأنها على أعظم جانب من الأهمية في معرفة أحوال المجتمع الموريسكي.

وكان المورسكيون يصوغون أشعارهم في قوالب من شعر الأغاني الإسبانية المعروفة بالرومانثه (Los Romances) التي كانت شائعة في ذلك العصر.

وفي هذا الفصل نعرض بعض منظومات الموريسكيين ونصوص من ملحمة السَّيد فضلاً عن بعض قصائد الشاعر الإسباني المعاصر المشهور لوركا كونه يعبر عن التراث الأندلسي وأنه قيثارة غرناطة.

1- مديح النبي محمد (ص) Poema de alabanza de Mohammad

من الزجل الموريسكي[2] وقد وردت الخرجة فيها مكتوبة بحروف عربية

يا ربنا، صلَّ عليه

---

[1] بلنثيا، المصدر، ص567-568.

[2] لزجال مجهول من أرغون يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، انظر بلنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة 2008.

واشملنا بحبك معه
وأخرجنا في جماعته
في رحاب محّمد
يا حبيبي يا محّمد، والصلاة على محّمد
ومن يُرد حسن المآلِ
وبلوغ المقام العالي
فليكثر في ظلام الليالي
من الصلاة على محّمد
يا حبيبي يا محّمد، والصلاة على محّمد.

2- تاريخ نسب محمد (ص) للزجال محمد ربضان[1]
Historia genealogica de Mohammad

أنا الذي تخشون اسمي عندما تذكرون اسمي

من أسفل الأرضين إلى أعلى الأبراج

أنا الذي لا يفلت أحد من رغبتي المريرة

إنني أجعل الجميع سواء الكبار منهم والصغار

من أوضع العمال إلى أنبل الأباطرة

[1] من روطة ويرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي، انظر بلنثيا، المصدر نفسه، ص582-853.

ومن أرفع الملوك إلى أبسط الرعاة

أنا الطليعة الوحيدة الذي لا يغيب عن بصري

مخلوق في بدنه روح أو شيء ينعم بحياة

أنا الذي أنزل بالجيوش الجرارة الفناء والتشتيت والانكسار

أنا الذي أجرد الأجسام من أرواحها العزيزة

لست أريد أن أهادن أحداً ولا أصغي أبداً لكلام

ولست صديقاً لأحد أعامل الكل بناء على نظام

عزرائيل يسموننني ملك الموت اسمي

أنا الذي لم أعرف الخوف قطُ جيلاً بعد جيل

3- رومانسة ابن الأحمر، ابن الأحمر Romance de: Abenamar, Abenamar

قصيدة من الشعر الموريسكي[1]

يا ابن الأحمر يا ابن الأحمر أيها الموريسكي من أمة المسلمين

ليوم مولدك ظهرت علامات كبيرة

فكان النهر هادئاً والبدر كاملاً

والموريسكي إذا ولد بمثل هذه العلامـات عليه أن لا يقول كذباً

وهنا أجاب الموريسكي سأسمعك حقيقة ما كنت أقول

سأقولها لك، يا سيدي وإن كلفني فيه حياتي

لأني ابن مسلم ومن أم مسيحية أسيرة

ومن طفولتي وشبابي قالت لي أمي:

ألاّ أقول كذباً إنه كان إثماً كبيراً

ولهذا، فسَلّ، أيها الملك سأصدقك القول

[1] انظر وقارن ليفي بروفنسال، محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وعبد الحميد العبادي، القاهرة 1951، ص63.

أشكرك يا ابن عمار لحسن لطفك وأدبك

فما تلك القصور؟ يا لها من شاهقة، ومنيرة!

أما هذا، فهو الحمراء، يا سيدي وأما الآخر فالمسجد

وبنو سراج هم الآخرين صانعي المعجزات

وكان الموريسكي العامل فيها يتقاضى مائة دوبل يومياً

يضيعها على نفسه إذا انقطع عن العمل

4- أغنية العربيات الثلاث[1] Canción de tres morillas

عشقت ثلاث فتيات عربيات في جيان
عائشة وفاطمة ومريم ...
ثلاث عربيات بالغات الجمال
ذهبن يجمعن الزيتون
الفتيات
فوجدنه قد جمع، في جيان
عائشة وفاطمة ومريم ...
جيان

ثلاث عربيات فياضات بالحيوية
ذهبن يجمعن التفاح
فوجدنه قد جمع، في جيان
عائشة وفاطمة ومريم ...
قلت لهن: من أنتن أيتها

اللائي سلبنني حياتي؟
(فقلن) مسيحيات، وكنا عربيات، في

عائشة وفاطمة ومريم ...

5- يا للحامة[2] Ay de mi Alhama

لشاعر شعبي مجهول من عصر مملكة غرناطة (635-897هـ)

مرَّ الملك المغربي
ببلدة غرناطة
من باب البيره
إلى باب الرملة
[وهو يصيح:] يا للحامة!
وكانت قد أتته الرسائل

[1] هذه الأغنية تمثل آخر مظاهر الزجل، انظر بلنثيا، المصدر السابق، ص701-702.
[2] انظر غارثيا غومث، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة 1956، ص74-75؛ ليفي بروفنسال، المصدر السابق، ص64.

[تنبئ] بسقوط الحامة!
فألقى الرسائل في النار
وقتل الرسول
[وصاح:] يا للحامةّ!
وترجل عن بغلته
وامتطى صهوة فرس وأسرع
إلى زقطين في الأعالي
ثم أسرع إلى الحمراء
وهو يصيح: "يا للحامة !"
وعندما صار في الحمراء
أمر في التو
بأن تضرب طبوله
وينفخ في بوقه الفضي
وصاح: يا للحامة !

"ثم أروي لكم أغنية مشهورة عن ضياع الحمة (أو الحامة) "Alhama" وهي مدينة من مملكة غرناطة سقطت في 1482/2/28 في أول حرب شنها الملكان الكاثوليكيان على الممالك الإسلامية الصغيرة:

كان الملك الموريسكي يتجول في مدينة غرناطة من باب البيرة إلى باب الرملة يا أسفاه يا مدينتي: يا حمه! وجاء النبأ أن الحمة سقطت، فألقى، بالكتب على الأرض وقتل الرسول. يا أسفاه يا مدينتي: يا حمة !-

ونزل عن بغلته وقفز إلى حصانه. وسار الملك الموريسكي إلى الحمراء مجتازاً بزقطين. يا أسفاه يا مدينتي: يا حمة !

فلما بلغ الحمراء أمر بالنفخ في الأبواق وضرب طبول الحرب ليستجيب الموريسكي في غرناطة والغوطة.

يا أسفاه يا مدينتي: يا حمة !.

فسمع الموريسكي الأبواق والطبول وتجمعوا واحداً واحداً، واثنين اثنين واصطفوا للحرب يا أسفاه يا مدينتي: يا حمة!

ثم تكلم موريسكي عجوز فقال: "لم تدعونا أيها الملك الطيب؟ لم هذا النداء؟ يا أسفاه يا مدينتي: يا حمة!

اعلموا يا أصحابي أنه وقع أمر محزن جديد: إن المسيحيين قد أخذوا منا الحمة عنوة بشجاعتهم. يا أسفاه يا مدينتي: يا حمة!

فتكلم فقير ذو لحية طويلة بيضاء "أيها الملك الطيب. إن ما صنع بك كان خيراً وهذا ما تستحقه: أيها الملك الطيب.

يا أسفاه يا مدينتي: يا حمةّ!.

يا مدينتي: يا حمةّ!. فقد قتلت بني سراج وقد كانوا زهرة غرناطة وأنت الذي رحبت بالآبقين من قرطبة المشهورة.

يا أسفاه يا مدينتي: يا حمةّ! فأنت تستحق لذلك أيها الملك عِقاباً مزدوجاً فليصنع ملكك ولتصنع أنت أيضاً، ولتضع غرناطة

يا أسفاه يا مدينتي: يا حمةّ !"

6- الثورة الأندلسية La revolución andalusi

للشاعر علي بيريز[1]

[1] هاجر الشاعر الموريسكي علي بيريز في أوائل القرن السابع عشر الميلادي إلى تونس وعبّر في شعره عن الثورة الكامنة لدى الشعب الأندلسي المضطهد المقهور في عقيدته وإنسانيته وشرفه ومأكله ومشربه ووطنه وعبّر عن هجرته من إسبانيا بقوله "أخرجنا الله بعظيم قوته من يد الفراعنة الكفرة

ذئاب سارقة عديمة الخير، همها
الكبرياء والعجرفة واللواط
والفسق والكفر والانتقام
والغدر والظلم والسرقة
كل ذلك بدون عدل
أنا لا أبكي على ما مضى
لأن لا يمكن الرجوع إلى الماضي
ولكن نبكي لما سنرى
من نتانة ومرارة كل من يفهم

وبكى شعراء آخرون بأبيات محزنة على ما آل إليه وطنهم، ومثال ذلك هذه الأبيات المترجمة لشاعر موريسكي مجهول يبكي فيها بلدته الحامة (القريبة من غرناطة) عند سقوطها في يد النصارى (887هـ/1482م).

آه على بلدي الحامة؛
الرجال والنساء والأطفال
كلهم يبكون هذه الخسارة العظمى
كما بكت كل سيدات غرناطة
آه على بلدي الحامة؛
لا ترى من نوافذ بيوتها في أزقتها
إلا مأتماً كبيراً
ويبكي الملك ما عساه يبكي
لأن ما ضاع كثير

وقضاة التفتيش الملعونين" انظر علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتاب العلمية، بيروت 2005، ص217-218.

آه على بلدي الحامة؛[1]

7- أغنية شهر مايس[2] Canción del mes de mayo

أقبل مايو وولى أبريل
لقد رأيته مقبلاً بالغ الحسن والظرف
أقبل مايو بزهوره
وولى أبريل بغرامياته
وبدأ المحبون ذوو الرقة يستمتعون بغرامهم ...

وقد ظلت أوزان الزجل مستعملة في الشعر الإسباني حتى القرن السابع عشر فنجد كالدرون في مأساة "حب بعد الموت" يرسل على ألسنة الموريسكيين الأنشودة التالية ذات الطابع الزجلي الخالص:

على الرغم من الأسر التعيس
الذي أراده الله لنا بتقدير عادل
فأننا نبكي عز الدولة الإفريقية
وما قُدّر عليها من شقاء
وليحيّ دين الله!
ولتحيّ الذكرى العجيبة
لذلك العمل المجيد (يريد فتح إسبانيا على يد المسلمين سنة 92هـ/711م)
التي جعلت إسبانيا
أسيرة حريتها

(1) الكتاني، المصدر نفسه، ص217-218.
(2) يطول بنا الأمر لو مضينا نعدد شعراء الإسبان الذين استعملوا فن الزجل في نظمهم، انظر بلنثيا، المصدر السابق، 703-704.

وليحيّ دين الله!

8- ملحمة السِّيد[1] Poema del Cid

نص رقم (28) حقوق المسلمين

عبر كلَّ الأرض انتشر الخبر:

إن القنبيطور سيدي قد عسكر هناك،

ترك المسيحيين وجاء ليعيش مع المسلمين،

وجيرانه لا يجرؤون، خوفاً منه، على العمل في المزارع القريبة،

كان سيدي مبتهجاً، وكذلك كل تابعيه،

لأن سكان حصن القُصير سيدفعون له الجزية عما قريب،

نص رقم (31) رحمة السيد بالمسلمين

اسمعني يا ألبارهانييث وكل الرجال

لقد ربحنا كثيراً باستيلائنا على هذا الحصن

فالمسلمون يرقدون موتى، وأرى قليلين منهم على قيد الحياة!،

ولن نجني من وراء قطع رؤوسهم شيئاً،

إذن فليبقوا معنا داخل الحصن، وقد أصبحنا سادته،

نحن نقيم في بيوتهم وهم على خدمتنا يقومون

نص رقم (36) تدمير مزارع الأعداء

نبالٌ كثيرة وعديدة تعلو وتهبط،

وسهام كثيرة محطمة دون أقواسها،

[1] درسها وقدم لها وترجمها الطاهر أحمد مكي، دار المعارف القاهرة 1979، ص220-221، ص223، ص228، ص233، ص242، ص271-ص272، ص302، ص311-ص312، تم اختيار بعض النصوص الشعرية التاريخية بما يناسب مضمون الكتاب.

وأعلام عديدة بيضاء أحمرّ لونها من الدم،
وجياد كثيرة كريمة، دون فرسانها ولّت هاربة".
المسلمون ينادون محمّداً، والمسيحيون يدعون القديس يعقوب،
وفي الوادي، في مكانٍ ضيق، كانوا يرقدون،
ألف وثلاث مائة مسلم موتى!

نص رقم (43) الوداع
" اذهبْ أنت، يا مينايا، إلى قشتالة العظيمة؟!
تستطيع مُحقاً أنْ تقول لأصدقائنا:
لقد ساعدنا الله وانتصرنا في كفاحنا،
وعندما تعود قد تجدنا هنا،
فإذا افتقدتنا فالحق بنا حيث يقولون لك اتجهنا
بالرماح وبالسيوف علينا أن نربح الحياة!
وبدونهما في هذه الأرض المجدبة، لا يمكن أن نعيش،
كم أنا شديد الخوف ومن ثمَّ علينا أن نسرع راحلين!
نص رقم (57) السيد يخطب جنوده
" أيها الفرسان، أنقذوا غنائمكم!
البسوا الدروع وأشهروا السيوف
لأن الكونت دون رامون يريدنا أن نلقاه في معركة.
وبصحبته خلق كثير من مسلمين ومسيحيين،
ولن يدعنا في سلام إلا إذا واجهناه بالقوة،
وحتى إذا رحلنا فسوف يلحقون بنا، وإذن فلتكن المعركة هنا،
أهمزوا خيلكم، وهيّئوا سلاحكم،

فهم قادمون أسفل الطريق، وقد ارتدوا عُدَدَهم جميعاً
ولكن .. سروجهم مهزوزة، وسياطهم واهية،
وسروجنا أثبت؛ دروعنا سابغة؛
وقبل أن يبلغوا الوادي أغرقوهم بفيض من السهام؛
ولكل من يقتحم الصفوف منكم ثلاثة سروج خالية تنتظره.
وسيرى رامون برنجيز من يخوض المعركة
اليوم؛ في غابات تيبار؛ لكي يسلبه ما جنى من غنائم"
نص رقم (88 – 89) ملك مراكش يجيء ليحاصر بلنسية
غضب ملك مراكش من سيدي دون لذريق:
" لقد زج بنفسه في أراضٍ ولا يريد أن يقر بفضل لأحد غير المسيح".
وأمر ملك مراكش هذا بحشد الجيوش.
اتجهوا إلى البحر واحتشدوا في السفن متأهبين،
قاصد من بلنسية بحثاً عن سيدي دون لذريق،
وأدركت السفن الشاطئ، فهبطوا البر واثبين.
اتجهوا إلى بلنسية، وكان السيد قد استولى عليها من قريب،
نصبوا خيامهم، وعسكروا جنداً من روح القتال مجردين،
أنباء وصولهم بلغت سيدي حالاً بلا إبطاء ودون تأخير.
نص رقم (90) فرحة السيد عندما رأى جيوش ملك مراكش
" شكراً لله، الأب الروحي!
كل ما أملك من خير هو الآن بين ناظريّ،
بجهد وتعب ربحت بلنسية، وهي الآن مُلكي، بين يديّ
لقد حققوا بغيتهم كاملة وبدؤوا يعودون،
نص رقم (113) أبو بكر ملك مراكش يهاجم بلنسية

وهما على هذه الحال غارقين في الألم العميق،
جاءت جيوش مراكش تريد أن تضرب الحصار على بلنسية،
وهناك في وادي (كوارتو) نزلوا معسكرين،
نصبوا خمسين ألف خيمة، وربما تجاوزت الحساب،
وعلى رأسهم الملك أبو بكر، ولعلكم سمعتهم عنه شيئاً.
نص رقم (121) توزيع الغنائم
هائلة تلك الغنائم التي اشتركوا جميعاً في الاستيلاء عليها،
ربحوا كثيراً من قبل، وما غنموه الآن سيقومون عليه حافظين،
وأمر سيدي، من وُلد في لحظة سعد؛
بأن تقسم غنائم المعركة الفاصلة التي انتصر فيها؛
فيأخذ كل فرد نصيبه المقدر له،
وألا ينسوا الخُمُس المقرر لسيدي عند التقسيم،
وهكذا صنعوا، وعند التوزيع كانوا جميعاً عاقلين،
وبلغ خُمس سيدي ست مائة حصان،
وعدداً من البغال، وأعداد هائلة من الجمال،
أعداد هائلة لا يمكن أن تقع تحت حصر.

نص رقم (122) السيد في قمة مجده يفكر في احتلال المغرب
غنم القنبيطور كل هذه الثروات الهائلة.
– " شكراً لله سيد هذا العالم!
بالأمس كنت فقيراً وأنا اليوم من كبار الأغنياء،
أملك أرضاً، وذهباً، وشرفاً لا ينال،
وأخيراً أصبح صهراي أميري كاريون،

وانتصر في المعارك، كيف ما شاءت إرادة القادر،
المسلمون والمسيحيون يرتعدون جميعاً خوفاً مني،
هناك في داخل مراكش أرض المساجد اليوم،
يخافون أن أفاجئهم بالهجوم ذات ليلة،
هم يخافون وأنا، لا أفكر فيه،
لن أذهب إليهم باحثاً عنهم، وسأبقى في بلنسية،
فيها يأتون إليّ، يحملون لي الجزية، بمساعدة الخالق،.....
شكراً لمريم المقدسة، أم سيّدنا الله.

9- موّال الأنهار الثلاثة للشاعر فيديريكو غارثيا لوركا (غرناطة 1898-1936)[1]

" الوادي الكبير"
يمضي بين البرتقال والزيتون،
نهرا غرناطة
ينحدران من الثلج إلى القمح.
آه، يا حبّا
مضى ولم يعد.

" الوادي الكبير"
لحاه رمّانية اللون.
نهرا غرناطة
أحدهما دمع والآخر دم.
آه، يا حبّا

[1] انظر، مختارات من الشعر الإسباني المعاصر، ترجمة محمود صبح، بغداد (ب. ت)، ص79-80، آثرنا اقتباس هذه القصيدة من الشعر الإسباني المعاصر لأن الشاعر لوركا يعبر في بعض أشعاره عن التراث الأندلسي وأنه قيثارة غرناطة.

مضى عبر الهواء
للسفن ذات الشراع
لدى اشبيلية سبيل،
عبر ماء غرناطة
ليس إلا تجديف التنهدات
آه، يا حبّا
مضى ولم يعد.
" الوادي الكبير"
برج شامخ
وريح البيّارات
"دارّو و شنيل"
بريجان ميتان
فوق الغدران.
آه، يا حبّا
مضى عبر الهواء
من يقول أن الماء يحمل
ناراً تتماوج من عويل.
آه، يا حبّا
مضى ولم يعد
الأندلس
تحمل الأزهار،
تحمل الزيتون
إلى البحار.

آه، يا حبّا

10- أنشودة فارس للشاعر لوركا[1]

قرطبة

نائية وحيدة

مهرة سوداء، هالة كبيرة،

وزيتون في خرجي

مع أني أعرف الدروب

أنا أبداً لن أبلغ قرطبة.

عبر السهوب، مع الرياح

مهرة سوداء، هالة حمراء،

المنية ترمقني

من على أبراج قرطبة.

أوّاه يا له من درب طويل طويل

أوّاه يا لمهرتي الجريئة

أوآه فالمنية تترقبني

قبل بلوغ قرطبة.قرطبة نائية وحيدة.

[1] انظر صبح، المصدر السابق، ص82.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المصادر

1. ابن الابار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1985.
2. ابن بشكوال، الصلة، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة 1966.
3. ابن ابي الحكم، فتوح إفريقية والاندلس، تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت 1964.
4. ابن حبيب، عبد الملك، كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق خورفي اغوادي، مدريد 1991.
5. ابن حزم، جمهرة إنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة 1971.
6. الحميدي، جذوة المقتبس، نشر محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1952.
7. ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت 1973، وقطعة ثانية لنفس المحقق تحت اسم (السفر الثاني) الرياض 2002.
8. ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة 1977.
9. ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، نشر وتعليق احمد مختار العبادي، دار الشؤون الثقافية، بغداد (ب.ت).
10. الخشني، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966.
11. ابن عذاري، البيان المغرب في تاريخ الاندلس والمغرب، تحقيق .ج.س . كولان وآخرون.
12. عريب بن سعيد، ذيول تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل، القاهرة (ب.ت).
13. ابن سعيد، المغرب في حلى الغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة 1978.
14. ابن صاحب الصلاة، كتاب المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت 1963.
15. ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، تحقيق كوديرا، مدريد 1890.

16. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق عبد الله انيس الطباع، بيروت 1975.

17. المقري، نفح الطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت 1978.

18. المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، القسم الاول، بيروت (ب.ت).

19. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، تحقيق وترجمة إميليو الفونيته إي الكنتره، مدريد 1867، ومكتبة المثنى، بغداد (ب.ت).

20. ابن النديم، الفهرست، ضبطه وشرحه يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت 2002.

ثانياً: المراجع

21. احمد امين، ظهر الاسلام، القاهرة 1962.

22. احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، بيروت 1970.

23. احمد شلبي، التاريخ والحضارة الاسلامية، القاهرة 1966.

24. احمد مختار العبادي، الاسلام في أرض الاندلس، مجلة عالم الاسلام، المجلة العاشرة العدد الثاني، الكويت 1979.

25. من التراث الاسباني، مجلة عالم المعرفة، الكويت 1977.

26. جرجي انطونيو طربية، الوجدية وأثرها في الاندلس، بيروت 1983.

27. جمال الدين الشيال، التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوربي، بيروت 1969.

28. جمال محمد جابر، من هو مترجم النص الادبي ما هي خصائصه، مجلة الدعوة الاسلامية العدد الخامس عشر، طرابلس (ليبيا) 1429هـ/ 1998م.

29. خاشع المعاضيدي، تاريخ العرب في الاندلس، بغداد 1987.

30. حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، مدريد 1967.

31. التاريخ والمؤرخون، القاهرة 2001.

32. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، الكويت 1986.

33. عبد العزيز عثمان التويجري، تأملات في قضايا معاصرة، القاهرة 2002.

34. عز الدين العلام، الادب السلطاني، عالم المعرفة، الكويت 2006.

35. عبد الواحد طه ذنون، نشأة تدوين التاريخ العربي في الاندلس، بغداد 1988.

36. دراسات في التاريخ الاندلسي، الموصل 1987.

37. عمر فرّوخ، تاريخ الفكر العربي إلى ايام ابن خلدون، بيروت 1981.

38. فاضل الحسيني، اثر حركة الترجمة في رفد الحضارة العربية الاسلامية، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (180) بيروت 1999.

39. فتحي المرغني، أهل الذمة في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ترهون (ليبيا) 2004.

40. كريم عجيل حسين، تطور التدوين التاريخي في الاندلس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الأداب، جامعة بغداد 1996.

41. رشيد الجميلي، حركة الترجمة في الشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع، طرابلس – 1982.

42. رضا هادي عباس وآخر، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس بغداد 2009.

43. ، الاندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، مالطا 1998.

44. ، المكتبة الاندلسية، بغداد 2008.

45. ، الاندلس رحلة في التاريخ والحضارة، بغداد 2008.

46. اللقاء الحضاري في الأندلس، بغداد 2009.

47. محمد بن شريفة، التأثير المتبادل بين الامثال العربية والامثال الاسبانية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 59، القاهرة 2002.

48. محمود علي مكي، مصر والمصادر الاولى للتاريخ الاندلس، مجلة صحيفة العهد المصرية، المجلد الخامس، مدريد 1957.

49. ، التشيع في الاندلس، مجلة صحيفة العهد المصرية، مدريد 1955.

50. موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية، بغداد 1990.

ثالثاً: المراجع الاجنبية (المترجمة وغير المترجمة)

51. اوليري، دي لاسي، انتقال علوم الاغريق إلى العرب، ترجمة متي بيثون ويحيى الثعالبي، بغداد 1958.

52. بلنيثا آنخل كونثالث، تاريخ الفكر الاندلسي، نقلة عن الاسبانية حسين مؤنس، القاهرة 2008.

53. يويغس، بونس، المؤرخون والجغرافيون في الاندلس امستردام 1972.

54. هونكه، زينغريد، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في اوربا) نقله عن الالمانية، فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت 1981.

55. مجموعة مؤلفين روس، فن الترجمة، ترجمة من اللغة الروسية حياة شرارة، الموسوعة الصغيرة، بغداد 1979.

56. Pidal, Ramon Menendez, El Cid Campeador, Coleccio n, Madrid 1973. Austral, Septime Edicio

57. Chejne, Anwar ., Historia de Espa na Musulmana, Edicio n Catedra, Madrid 1980.

58. Glesia, Luis Garcia, Judios de Espana Antigua, Edicion de Cristinidad, Madrid 1978.

59. Fernandez, Luis Suarez, Judios Espanoles de Edad Media, Edicion Realb, Madrid 1980.

60. Mahmoud, Ali Makki, Ensayo sobre las aportaciones orientales en la Espana Musulmana, Madrid 1967.

61. Marco, Sebastian Quesado, Curso de Civilizacion Espanola, Tercera edicion, Madrid 1991.

61- دراسة حول الحضارة الاسبانية (ترجمة من الاسبانية) إبراهيم الدالي وخالد الزوام بحث غير منشور تحت أشراف رضا هادي عباس وآخرون، طرابلس (ليبيا) 1995.